موقف أمريكا

- سر ازدياد نشاط المخابرات الأمريكية قبل الثورة.
- ناريمان نقلت لفاروق حديثها مع قريبها الضابط ففتل شاربه وابتسم مزهوا وقال: أنا متأكد من أن الجيش مخلص لى.
- بوللى ضحك على فاروق وأودع الأموال فى بنوك الغرب باسمه لا باسم الملك.
- معونة شهرية من الملك سعود لفاروق بعد خلعه.

كان للملكة ناريمان قريب هو اليوزباشى عبد المنعم النجار، وكان من الضباط الأحرار.. وفى الأشهر الأخيرة قبل قيام حركة الجيش كان عبد المنعم النجار يتردد كثيرًا على أم ناريمان التى سألته مرة عن حكاية الضباط الأحرار، وهل حقيقة أنهم يريدون خلع الملك فاروق؟! .. وأجابها النجار قائلا: معاذ الله فالضباط الأحرار هم جنود الملك، وإذا كان لهم هدف فهو تخليص الملك من الأحزاب السياسية الفاسدة ومن ضباط الجيش الكبار الكهلة..

- قالت أم ناريمان: ولكن المنشورات التى يصدرونها تحض على خلع الملك.

قال النجار: هذه منشورات مدسوسة على الضباط الأحرار.

وأرجو يا سيدتى أن تجمعينى بالملكة لأشرح لها وضع الضباط الأحرار.

واجتمع الضابط بالملكة ناريمان.

وقد ذهبت ناريمان إلى منزل أمها للقاء النجار وقالت له: إنها سمعت أنه يريد مقابلتها.

قال النجار: نعم، يا صاحبة الجلالة. إنى سمعت السيدة والدتك تتكلم عن الضباط الأحرار وتقول إنهم يريدون خلع الملك. وأنا أقول: إن هذا غير صحيح أبدًا.

قالت ناريمان: ومن أين تعلم أنه غير صحيح. هل أنت من الضباط الأحرار؟

قال عبد المنعم النجار بعد قليل من التفكير: كل صغار الضباط فى الجيش أحرار ولكنهم مخلصون للعرش، ويجب أن يعتمد الملك عليهم لا على كبار الضباط الجهلة المنافقين. نحن صغار الضباط نحب الملك بقلوبنا. ولكن كبار الضباط يحبونه بألسنتهم. نحن نريد تخليص الملك من الأحزاب الفاسدة من السياسيين من أنصار الاستعمار. ونحن نعلم أنه يكره الانجليز ويساعده الضباط الأحرار الذين يعملون فى منطقة القنال لتخليص البلاد من الاحتلال. نحن الذين نشعر بولاء حقيقى للملك وليس حيدر أو عثمان المهدى أو عمر فتحى.

قالت ناريمان: هل تقسم على أنكم مخلصون للملك؟

أجاب النجار: أقسم.

وعادت ناريمان إلى القصر ونقلت إلى الملك حديث قريبها الضابط النجار.

وفتل الملك شاربه وابتسم مزهوًّا وقال: أنا متأكد أن الجيش مخلص لى.

السياسة المصرية وفاروق:

حينما تولى فاروق العرش وجد أن حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس هى التى تحكم. ولم تكن حكومة الوفد فى عهد والده الملك فؤاد على علاقة طيبة مع القصر ابتداء من حكومة سعد زغلول وانتهاء بحكومة النحاس. وقد قيل إن الملك فؤاد لما ضاق ذرعًا بسعد زغلول دبر مؤامرة اغتيال حاكم السودان الانجليزى السير ستاك ليحمل سعد زغلول مسئولية الحادث. ونجح فى مسعاه، إذ قدَّم الجنرال اللنبى المندوب السامى البريطانى فى مصر إنذاره المشهور إلى حكومة سعد زغلول فرفضها الأخير واستقال. وكان مرد التصادم بين القصر والوفد أن الملك فؤاد يريد أن يملك ويحكم. والوفد يريده طبقًا للدستور أن يملك ولا يحكم.

وجاء فاروق إلى الحكم ولم يكن يفهم شيئًا عن الدستور أو السياسة إذ لم يكن قد بلغ الثامنة عشرة من عمره بعد. وكان تعليمه سطحيًا جدًا ومستواه لا يزيد على مستوى طالب فى السنة الأولى الثانوية. وقالت له حاشية القصر وأمه معهم أن الوفد كان عدوًا لوالدك، ويجب عليك إذا أردت أن تكون ملكًا قويًا أن تضرب الوفد فى الوقت المناسب وتبعده عن الحكم ليصبح غير قادر على ضربك. وكان مستشاراه اثنين: أحمد حسنين وعلى ماهر. وكلا الاثنين لهما مطامع فى الحكم. والأول أقرب إلى فاروق من على ماهر لأنه كان مرافقه فى انجلترا وكان يحقق نزوات فاروق وأهواءه. أما الثانى، فكان سياسيًا مخضرمًا لا شك فى وطنيته. ولكنه كان يحب التسلط والحكم. ولا يستريح إلا إذا أصبح رئيسًا للوزراء.

وكان رئيس الوفد مصطفى النحاس يجىء إلى الحكم فى كل مرة تجرى فيها انتخابات حرة بأغلبية كبيرة. ومعنى ذلك أن النحاس سيبقى رئيسا للحكومة مادام هناك دستور. فكيف يبعد على ماهر النحاس عن رئاسة الحكومة؟ ليس من سبيل إلا أن يوغر صدر الملك عليه. وتفتّق ذهنه عن حيلة ماكرة.

ذهب على ماهر إلى ولى العهد الأمير محمد على وقال له: يا سمو الأمير. عندى فكرة أقترحها عليك وأرجو أن تتقدم بها باسمك إلى رئيس الحكومة. وهذه الفكرة ستنشر حتما فى الصحف.

قال الأمير محمد على: وماهى الفكرة؟

أجاب على ماهر: أن يقوم شيخ الأزهر فى حفل رسمى كبير لتنصيب الملك بوضع التاج على رأسه كما كان يفعل البابا مع ملوك الكاثوليك وكما يفعل الآن أسقف كنتر برى مع ملك انجلترا.

سأل الأمير: وهل عرضت الفكرة على الملك؟

قال على ماهر: أريد أن تجىء منك. لأنى واثق من أن الملك سيسر لها، وسوف تساعد على أن تحظى بعطف جلالته الكبير ويزول ما بينكما من سوء التفاهم.

وفعلا تقدم الأمير محمد على إلى حكومة الوفد بالاقتراح. فهاج رئيس الحكومة مصطفى النحاس هياجا شديدا. وقال إن هذا الاقتراح غير دستورى لأن الملك يتسلم سلطاته من الحكومة والبرلمان. وأن معنى ذلك أن يتسلم الملك سلطاته من شيخ الأزهر.

وانتهت الأزمة بالعدول عن الفكرة. ولكن على ماهر نجح فى أن يوغر صدر الملك ضد النحاس. وتربص الملك بالنحاس حتى تمكن من إقالته بخطاب اتهم فيه النحاس بسوء الحكم. وهو خطاب إقالة لا أظن أن له سابقة مماثلة فى الدول الملكية الدستورية.

وجاءت الإقالة سهلة. فلم يقم الشعب بمظاهرات احتجاج. ولم تشهد مصر حادثًا واحدًا من حوادث العنف. وفتح الطريق سهلا أمام الملك فاروق ليمارس لعبة الإقالة والعزل مع كل الساسة المصريين بمختلف أحزابهم. ونصحه مستشاروه بأن يضع يده على الجيش حتى يكون درعًا يقيه من الشعب إذا فكر يوما فى الثورة عليه. وأخذت أجهزة القصر تعمل لاختيار قادة الجيش من الذين عرف عنهم الولاء والإخلاص للملك فؤاد- وأستطيع القول- ومن عرف عنهم أيضا الجهل. لأن الجاهل يسهل التحكم فيه ويقبل الانصياع والطاعة أكثر من المتعلم الذى يفكر. وبدأت حاشية القصر تلوح لرجال السياسة فى مصر بسوط الجيش. وكما قمع اسماعيل صدقى رئيس الحكومة فى عهد الملك فؤاد سنة ١٩٣٠ ثورة العمال باستخدام الجيش، فقد استطاع النقراشى رئيس الوزارة فى سنة ١٩٤٧ بأمر من الملك فاروق القائد الأعلى للجيش، أن يقمع تمرد قوات البوليس. وألف الملك فاروق الحرس الحديدى. فخاف رجال السياسة على أرواحهم هذه المرة بعد أن كانوا يخافون على مناصبهم. وزاد الطين بلة شدة أطماع الساسة وحبهم للمنصب، لأن منصب الوزارة كان مغريا جدا للنفوذ الواسع الذى يتمتع به الوزير. وكان لزوجات المرشحين للوزارة دور كبير فى إذكاء وقود المطامع لدى أزواجهم، لأن الزوجة تصبح مقصد ذوى الحاجات ويعمر بيتها بهم ويقدم إليها الاحترام والتبجيل. وحين يعزل زوجها من الوزارة يخلو البيت من الزوار.

وبين المطامع والجيش والحرس الحديدى كان الملك فاروق يمارس هوايته المفضلة، وهى، عزل الوزارات وإبدالها بكل سهولة وبساطة.

كان سفير الولايات المتحدة فى مصر يدعى جفرسون كافرى. وقد نقل إلى القاهرة بعد أن كان سفيرا للولايات المتحدة فى فرنسا. ولا أدرى إن كان نقله مبنيا على أن القاهرة من الوجهة السياسية أهم من باريس أو لسبب آخر قيل عنه أشياء كثيرة فى وقتها. كان المستر كافرى يواظب على شيئين مواظبة تامة: شرب الكحول بإفراط والذهاب إلى الكنيسة. وقد تقرب إلى الملك فاروق أو أن الملك فاروق هو الذى تقرب إليه، ظنا منه أنه سيقوم بحمايته من الانجليز. وللملك فاروق فى ذلك سابقة تفكير، إذ أنه بعد حادث ٤ فبراير (شباط)، صادق الملحق العسكرى فى السفارة الأمريكية وكان يدعوه إلى القصر ويصحبه معه إلى نادى السيارات ودور اللهو. ويطلب من مصوره الخاص التقاط صورة لهما معا.

وهذا شىء لم يفعله مع أى شخص آخر. ولعل فاروق أراد من ذلك أن يشعر الانجليز بأنه سيلجأ إلى طلب الحماية من أمريكا إذا حاول الانجليز أن يعتدوا عليه مرة أخرى. ولعله أراد أيضا أن يشعر أمريكا بهذه الوسيلة أنه صديق لها. أما المستر كافرى فكان شغله الشاغل هو الشيوعية. وكان يشعر بأن الشيوعية خطر داهم على مصر وبالتالى على الشرق الأوسط. ولما كانت مصر هى قلب العالم العربى، فإنها صارت بذلك منطقة استراتيجية حيوية للدفاع عن الغرب. وقد عبر عن ذلك الرئيس السابق ايزنهاور بقوله إن قناة السويس هى شريان الدم بالنسبة إلى الغرب. كان كافرى يتكلم كثيرا مع كل من يقابله من الساسة المصريين عن مخاوفه من الشيوعية. وقد ذكر لى أحدهم أنه فى مقابلة معه قال له وهو يحاوره:

– يا مستر كافرى. إنك تبالغ فى خطر الشيوعية فى مصر. إنها ليست متأصلة الجذور.

قال كافرى: قد لا تكون الآن. ولكنى واثق من استفحالها فى القريب.

قال السياسى: وما الذى يجعلك واثقا؟

أجاب كافرى: سوء الحالة الاجتماعية فى مصر والهوة الواسعة بين الغنى والفقير. هل من المعقول أن يملك الملك وأسرته مئات الألوف من الأفدنة، وأن تملك أسرة واحدة عشرين ألف فدان بينما ملايين الفلاحين لايبلغ دخل الفرد منهم أكثر من نصف دولار فى اليوم؟ أليست هذه هى الأرض الخصبة لكى يضع فيها الشيوعيون البذور.

قال السياسى: أوافقك تماما على وجوب إصلاح يقرب الفوارق بين الطبقات. ولقد قدمت اقتراحات كثيرة إلى الملك، ولكنه رفضها جميعا. إنه يتهم من يعرض فكرة الإصلاح بأنه

شـيوعى. وعلى فكرة، يامستر كافرى. أنت صديق مقرب للملك. فلماذا لا تصارحه بمخاوفك ومخاوف حكومتك من انتشار الشيوعية نتيجة الظلم الاجتماعى؟ إنه يقدر الرأى الذى يأتيه منك أكثر مما يقدر رأى ساسته.

قال كافرى: سأحاول ولكننى غير واثق من النجاح.

مقابلة مع كيم روزفلت

أقام السـفير كافرى حفل عشاء فى السفارة الأمريكية وكنت أحد المدعوين. وبعد انتهاء العشـاء قال لى المسـتر كافرى إنه يريد أن يقـدم لى صحفيًا وكاتبًا أمريكيًا يهتم بشـئون الشـرق الأوسط، ووضع فى ذلك مقالات وكتبًا وإن اسمه كيم روزفلت. وكنت قد سمعت عنه ولـم أره من قبل. ولما قدمنى إليه رأيت مظهره مظهر طالب فى الجامعة يكثر من المطالعة ولا تهمه موسـيقى الجاز. يضع نظارة كبيرة الإطـار ويتكلم بصوت خافت ويخالس النظر. يحـدق تارة ويخفـض البصر تارة أخرى فى حياء لا أدرى إن كان مصطنعًا أو إنه طبيعى. لم يخل حديثى معه من الشـيوعية. ووجه إلىَّ أسـئلة كثيرة عن النشاط الشيوعى فى مصر. ثم فاجأنى بقوله:

– هـل تعلم أنى قابلت الملك فاروق وأنه اسـتبقانى للغداء معـه وتكلمت معه كثيرا عن الشـيوعية فقال لى الملك إنه يعرف عن الشـيوعية أضعاف ما يعرفه وزير الداخلية وجميع رجال الأمن.

وضحك روزفلت ضحكة تحمل كثيرا من السـخرية. وضحكت لأننى أعلم أن هذا هو طبع الملك فاروق.

واسـتمر روزفلت يقول: إن له صلة حسنة بكبار موظفى الحكومة الأمريكية وإنه يشعر بأنهم يريدون مسـاعدة مصـر اقتصاديًا وتكنولوجيًا. ولكنهم يقولـون: إن على المصريين أن ينظموا أمر البيت قبل تقديم المساعدة.

فقلت: وماهو الطريق الذى يرونه يؤدى إلى تنظيم أمر البيت.

قال كيـم روزفلت: تقليل الفوارق بين الطبقات بتوزيع جـزء من الملكيات الكبيرة على صغـار الفلاحيـن وقيام إصلاح زراعى شـامل ومسـاعدات اجتماعية وصحيـة للفقراء ورفع مستوى الأجور.

قلت: هل تكلمت مع الملك فى ذلك.

قـال روزفلت: تكلمت. ولكن لم أتلق ردا شـافيا. وصرف الموضـوع إلى مواضيع أخرى. ولكنـى التقيت بعـد ذلك برئيس الحكومة نجيب الهلالى وأعـدت عليه حديثى مع الملك، ووافقنى الهلالى على آرائى.

وقال: إنه يحاول جهده يائسا أن تقوم حكومته بتطهير الفساد.

قلت: وأى فساد تراه أنت، وتلمسه بصفتك صحفيًا؟

قلت: فساد الأحزاب السياسية.

ولاحظـت أن روزفلت لم يتناول أبدًا فسـاد حاشـية القصر. وأضفت إلـى ملاحظتى أن السـفير كافرى كان يحمل دائما على الفساد الحزبى ويعرض بالنظام الحزبى فى مصر. وأنه تكلم كثيرا مع الملك فاروق الذى كان يسـتمع من كل قلبه إلى الحديث لكراهيته الشـديدة لحزب الوفد.

تشكيل حكومة عسكرية !

لابد لى أن أشـير فى هذا الصدد إلى أن الملك فاروق كان يفكر جدياً فى تشـكيل حكومة عسـكرية. وكان مرشحه لرئاسة هذه الحكومة هو الفريق محمد حيدر. لكنه أجل تنفيذ هذه الخطـة، إما لأنه غضب علـى حيدر حتى أنه أراد عزله كما أشـرت فى موضع آخر من هذه المذكرات، وإما لأنه لم يكن يرى الوقت مناسـبا. وقد دل على نيته بوضوح فى خطابه الذى ألقاه فى الوليمة التى أقامها لضباط حامية القاهرة يوم حريق القاهرة. ولسـت أجزم أن فكرة إقامـة حكومة عسـكرية كانت نتيجة إيحـاء أمريكى بريطانى بعد مـا ألغت حكومة الوفد معاهدة سنة ١٩٣٦، وقيل إنها تركت بذلك فراغا فى منطقة الشرق الأوسط، أو إن هذه الفكرة من وحى فاروق لعدائه المسـتقر لحزب الأغلبية وهو حـزب الوفد. ومنذ قدوم كيم روزفلت إلى القاهرة وردتنى تقارير كثيرة عن حركة كبيرة للأمريكيين فى مصر.

فقد امتلأت الفنادق بمن يسـمون برجال الأعمال. ومن تجاربى كنت أعلم أن الكثيرين من رجال الأعمال هم من رجال المخابرات الأمريكية C.I.A وزاد عدد موظفى السفارة الأمريكية زيـادة مفاجئة حتى كاد أن يتضاعف. وكان هذا النشـاط الفجائى مثـار اهتمامى. وطلبت من رجال الأمن تتبعه. ولكن التقارير كانت ترد بأن أحدا منهم لم يقدم على عمل يشتبه به.

وأرجو أن أوضح هنا نقطة هامة، وهى أن غالبية رجال الأمن من البوليس لم يكونوا على ولاء للحكومة، لأنهم كانوا يكرهون الملك ولا ينسـون له أنه أذلهم حين أضربوا سنة ١٩٤٧

واعتصموا بحديقة الأزبكية، فأرسل النقراشي رئيس الحكومة في ذلك الوقت يطلب من الملك وحدة من الجيش حاصرتهم وجردتهم من السلاح وقبضت عليهم.

وجاءت الضربة القاضية التي انهارت معها آمال الأمريكان في الملك فاروق حين أخرج وزارة الهلالي نظير مبلغ مائتي ألف جنيه قدمها المالي المعروف أحمد عبود ليتخلص من الضرائب التي كانت تطالبه بها وزارة الهلالي. وحين علم السفير الأمريكي بإخراج الهلالي وتعيين حسين سري بدلا منه وفقًا لمخطط عبود أخذ يصيح قائلا: لافائدة لا فائدة من هذا الملك. فليذهب إلى الجحيم.

ماذا فعل الأمريكيون ؟!

لا أظن أن المصادفة المحضة هي التي أتت بكيم روزفلت إلى القاهرة خصوصًا أنه قد تبين أن كيم روزفلت هو من كبار رجال المخابرات الأمريكية، وكان له دور بارز فيما بعد في إسقاط حكومة مصدق في إيران. وليست المصادفات هي التي أتت برجال الأعمال الأمريكيين إلى القاهرة، ولا هي التي جعلت الحكومة الأمريكية تضاعف عدد رجال السفارة الأمريكية في القاهرة. كل ذلك في وقت كانت مصر في حالة غليان ضد الحكم القائم وعلى رأسه الملك فاروق. وكانت حركة الضباط الأحرار قد اشتد ساعدها إلى أبعد مدى، وجابهت الملك في انتخابات نادي الضباط وأعلنت تحديها له بترشيح اللواء محمد نجيب لرئاسة نادي الضباط ضد مرشح الملك اللواء حسين سري عامر. وكانت منشورات الضباط الأحرار تغمر شوارع المدن المصرية. وكانت أسماؤهم معروفة أكثرها لدى الحكومة وقائد الجيش حيدر. فكيف لا تكون معروفة لدى المخابرات الأمريكية والبريطانية؟ بلى كانت معروفة. ولما يئس الأمريكان والإنجليز من فاروق اتجهوا نحو حركة الضباط الأحرار وحاولوا الاتصال بها. وجرت هذه المحاولة عن طريق ضابطين في الجيش هما: البكباشي عبد المنعم أمين وقائد الجناح على صبري.

فماذا كان موقف الضباط الأحرار؟

كان الأمر كما يقول الشاعر: «أمران أحلاهما مر» أو «لابد مما ليس منه بد»، فإذا حاول الضباط الأحرار إنكار حركتهم أو رفض الاتصال بالأمريكان، فسوف يقوم هؤلاء بإبلاغ الملك عنهم، وبكل تفاصيل ما يعرفونه عنهم. وكان الملك يستمع إلى الأمريكان ونصائحهم أكثر مما يستمع إلى وزارئه. وعليه تكون النتيجة أن يعصف الملك بحركة الضباط الأحرار بمساعدة الأمريكان والإنجليز الذين كان جيشهم رابضًا في أرض مصر!

وطبقًا لقانون اللعب المعروف، العب بالذى تكسب به، لعب الضباط الأحرار لعبتهم بمهارة وجاروا الأمريكان. وقام تفاهم على عدد من النقط بعد نجاح الانقلاب أهمها ما يلى:

١ - إصدار قانون فورى بالإصلاح الزراعى وبتحديد الملكية وتوزيع الأرض على صغار الفلاحين. وهو ماكانت أمريكا ترى أنه يقضى على انتشار الشيوعية فى مصر.

٢ - إلغاء الدستور والأحزاب السياسية.

وهذا المطلب يشفى غليل إنجلترا من الوفد ويجعل الأمريكان يتكلمون مع صوت واحد بدلًا من عدة أصوات، وهى الطريقة التى يفضلونها فى الاتصال بالحكومات والتى استعملوها فى أمريكا اللاتينية. ولو أن الأحداث خلفت أثراً عكسيًا كما هو الحال فى كوبا التى أصبحت قاعدة عداء كبرى ضد أمريكا، كما أدت هذه السياسة إلى تفشى منظمات متطرفة فى معظم دول أمريكا اللاتينية التى تحكمها حكومات عسكرية تقوم بتدمير المصالح الأمريكية وخطف الدبلوماسيين الأمريكان، كما تفعل منظمة التوباماروس.

٣ - تأميم قناة السويس. وقد يبدو أن هذا الشرط غير معقول لأنه يصيب مصالح بريطانيا وفرنسا حليفتى أمريكا فى حلف الأطلنطى.

ولكن هذا الشرط الذى من المؤكد أن الثورة اشترطته يعطيها كسبًا ماديًا ومعنويًا كبيرا، فضلا عن أنه شرط عادل جدًا، لأن هاتين الدولتين استغلتا القناة أبشع استغلال وحرمت مصر من دخل ضخم كان يؤمن للشعب المصرى رخاء ويسرا لو عاد إليه، ولم يذهب إلى جيوب المساهمين الأجانب فى القناة بغير وجه حق. وإنى أعلم عن يقين أن حكومة الثورة بدأت دراسة إجراءات التأميم عام ١٩٥٣.

وتولى إعداد البحث رئيس قسم الرأى بمجلس الدولة المرحوم المستشار بهجت بدوى. ولكن التأميم لم يتم إلا عام ١٩٥٦.

ولم تقم أمريكا بمحاولة جدية لمساعدة إنجلترا وفرنسا، بل كان موقف حكومة أمريكا ووزير خارجيتها دالاس أقرب إلى العداء من هاتين الدولتين منه إلى التحالف.

٤ - أن تعمل الحكومة المصرية جادة على إنهاء النزاع مع إسرائيل فى ظرف خمس عشرة سنة. وهذا الشرط لابد أنه أتى من أمريكا وقبلته الثورة، وهى تضمر فى نفسها شيئا آخر، إذ إنها أخذت فى تسليح مصر وتنظيم جيشها على استعمال أحدث الأسلحة ووسائل التدريب، لعلمها بأنها لابد أن تجابه إسرائيل فى معركة عسكرية. وقد جابهتها فعلا فى حروب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣؟

٥ – أن تنهى بريطانيا احتلالها للسودان كيلا يظل جيشها يحتل الباب الخلفى لمصر ولمنابع النيل.

٦ – أن تضغط أمريكا على إنجلترا لإنهاء احتلالها لمصر.

وقد تمت معاهدة بين حكومة الثورة وإنجلترا احتفظ فيها الإنجليز بحق الرجوع إلى قاعدة قناة السويس فى حالة خطر قيام حرب.

لم تكن علاقة الملك فاروق بالإنجليز علاقة سعيدة منذ ساعة قيام الحرب العالمية الثانية وازدادت سوءًا بحادث ٤ فبراير، ثم هدأت بعض الشىء ونسى فاروق الإنجليز وهو يلعب الورق فى نادى السيارات أو يذهب إلى الأوبرج. ونسيه الإنجليز ببرودهم المعهود حتى سنة ١٩٥١ حين أعلن النحاس رئيس الحكومة إلغاء معاهدة الصداقة والتحالف التى عقدها مع إنجلترا سنة ١٩٣٦ قائلا فى البرلمان كلمته المشهورة: «من أجل مصر عقدت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها».

وكانت صدمة شديدة للحكومة البريطانية لأنها فوجئت بالإلغاء ولم تخطر به مسبقًا من سفارتها فى القاهرة. وكانت لطمة عنيفة للسفير البريطانى السير رالف ستيفنسون. وأقر الملك فاروق الإلغاء.

ولعل الإنجليز كانوا يظنون أنه يستطيع منع النحاس من إلغاء المعاهدة. ولكنى أرجح أن الإنجليز وصلتهم معلومات بأن الملك فاروق هو الذى أوحى إلى النحاس بإصدار قرار الإلغاء، بحجة أن الإنجليز طولبوا بالجلاء عن قناة السويس وأنهم يماطلون.

وبدأت كتائب من الفدائيين تشكل من صغار الضباط والإخوان المسلمين والوفديين والحزب الاشتراكى وترسل إلى منطقة القناة لمهاجمة القوات الإنجليزية ووسائل مواصلاتها ومعسكراتها.

واشتعل صدر الإنجليز غضبًا لما أذاعته الصحف من أن الملك فاروق تبرع للفدائيين بمبلغ ٣ آلاف جنيه، وأن حكومة الوفد تمد الفدائيين بالأسلحة والمال.

وكان الإنجليز يعلمون بواسطة قلم مخابراتهم الكثير عن حركة الضباط الأحرار ويعلمون أسماء مقاتليهم فى منطقة قناة السويس.

وكان من زعماء تنظيم الكتائب فى منطقة قناة السويس وجيه أباظة وعبد اللطيف واكد. وفى اصطدام بين دورية بريطانية ودورية من الكتائب أسر البريطانيون ضابطًا مصريًا. وأخذوه

إلى المخابرات لتستجوبه. ودخل الضابط المصرى غرفة ضابط المخابرات البريطانى الذى بادره بالسؤال عن اسمه: فأجاب الضابط المصرى اسمى محمود.

سأل ضابط المخابرات: وما صناعتك؟

قال الضابط المصرى: طالب فى الجامعة.

قال ضابط المخابرات ضاحكًا بسخرية: إن اسمك هو عصمت وصناعتك ضابط فى الجيش المصرى. أرأيت أننا نعرف كل شىء عنكم؟ والآن قل لى لماذا تقاتلوننا؟

قال الضابط المصرى: لأنكم تحتلون بلادنا ولا تريدون أن تذهبوا.

قال ضابط المخابرات: ولكن قبل أن ترحِّلونا، ألا يحسن بكم أن ترحِّلوا الملك فاروق. نحن نعلم أنكم تنظمون حركة ضده. فلماذا لا تعجلوا بالخلاص منه؟ اذهب إلى وجيه أباظة وعبد اللطيف واكد وقل لهما هذا الكلام.

فهل أراد الإنجليز أن يطلقوا بهذه الرسالة الضوء الأخضر لحركة الضباط الأحرار للقيام بحركتهم بغير خشية أو رهبة من أن يقاومها الجيش الإنجليزى، كما حدث فى حركة عرابى ضد الخديو توفيق.

لقد أراد الملك فاروق فعلاً أن يستعين بالإنجليز فى اليوم التالى لقيام الثورة. فأرسل مبعوثًا إلى السفارة البريطانية قابل فيها الوزير المفوض مستر كرسويل الذى كان قائمًا بأعمال السفير.

وقال المبعوث للوزير المفوض: إننى موفد من الملك فاروق برسالة إليك.

سأل المستر كرسويل (بسخرية) : وماهى الرسالة ؟

قال المبعوث: إنه يود معرفة ما إذا كنتم تستطيعون مساعدته؟

أجاب المستر كرسويل: وهل تظن أننا نساعد مجنونًا ملعونًا (Dam Fool) ! !

وترك الإنجليز فاروق لقدره.

ضحكوا على فاروق وخدعوه

هكذا ذهب فاروق وتخلى عن العرش، لأنه كان لا يعرف كيف يصونه كما صانه والده بالصبر والجد وتتبع مجريات الحوادث بعين حذرة وبصيرة. أما ابنه فكان لاهيًا عن كل شىء إلا طمعه وملذاته، مستهترًا بكل شىء إلا حب المال وحب الميسر. استهتر بالشعب واستهتر بحكومته وكان استهتاره استهتار طفل عنيد مشاغب ظن أنه يستطيع أن يفعل أى شىء حين

لـم ير أحدًا ينهره أو يزجره. كان يتظاهر بالقـوة والجبروت. ولكن ما إن بدا له فى الأفق أن هناك ثورة قد يكون فيها خطر على حياته حتى انهار وخارت قواه. أمر يخته «المحروسـة» بالاستعداد للإبحار فى الساعة العاشرة من مساء يوم ٢٣ يوليو، وأمر قائد بوليس السراى بأن يتصل بحكمدار بوليس القاهرة لكى يخبره ألا يقوم البوليس بأية محاولة ضد الجيش، وأقال الوزارة قبل أن يتمكن مبعوثه من الاتصال بقيادة الثورة.

كان يريد الفرار بأى ثمن. يريد النجاة بجلده ورقبته ويحقق الرغبة التى طالما عاشت فى صدره وهو أن يترك مصر ليعيش فى الخارج.

ومن سـخرية القدر أنـه أراد أن يصطحب معه أنطون بوللى سـكرتيره المالى الذى كان يعرف كل شىء عن أموال الملك فاروق. ولكن ضباط حركة الجيش قبضت على هذا السكرتير وخرج الملك فاروق من دونه.

وذهب فاروق إلى أمه حين خلع عن العرش يبكى فقالت له شـيئًا يقرب من بيت الشـعر الذى قالته أم ملك أندلسـى خلع عن العرش لفساده «ابك مثل النساء مُلكا لم تحافظ عليه مثل الرجال» .

ولـم تكن المفاجأة الكبرى لدى فاروق فى فقده العرش، وإنما كانت بعد وصوله إلى أوربا واكتشـافه أن أكثر المال الذى كان يعطيه لبوللى ليودعـه فى مصارف أوربا قد أودعه بوللى باسـمه هو لا باسـم فاروق. وعاش فاروق الذى ظن العالم أن عشرات الملايين من الجنيهات كانت مودعة باسـمه.. عـاش بأقل من مليونى جنيه أطاحت بأكثرهـا عصابة من المحتالين الأجانـب اتصلت به وأغرته بتوظيف أمواله فى مشـاريع احتيالية وهمية. وضيع هو الجزء الآخر فى كازينو مونت كارلو وفينسيا وسان ريمو.

وإنى أعلم عن يقين أن فاروق كان يعانى ضائقة مالية شـديدة وأنه كان يحصل على معونة شهرية قدرها ثلاثون ألف جنيه استرلينى شهريًا. وعندما قطع عنه الملك سعود هذه المعونة راح يفكر فى وسيلة يستعيد بها ما فقده.

□□□

١ – الملكة السابقة نازلى .

٢ – أمين فهيم سكرتير الملك فاروق .